

شعبة اللغة العربية وآدابها
مسلك الدراسات العربية



كلية اللغات والآداب والفنون

الفصل 5

وحدة الأدب الشفهي
مادة الأدب الشفهي

الأستاذ عبد العزيز اعمار

الحصة 4

2021 - 2020

المحور الرابع

4. المثل Le proverbe

1.4. مفهوم المثل وخصائصه

وسمت الثقافة العربية الأمثال بكونها «مصاييح الكلام ومرايا النفوس». كما خصها ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد- أمثال العرب" بثلاث خصال حين جعلها «وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني». في حين وضع جلال الدين السيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، ثلاثة شروط ينبغي -في نظره- أن تتوفر في المثل وهي «إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه».

والمثل عبارة أو صيغة مسكوكة جاهزة، يكسبها الاستعمال والتداول، الحياة والحركية، بحيث يجعلها تعيش وتتجول وتتحوّل وتنتقل وتهاجر بين الناس. كما يكسبها هذا الاستعمال نظاماً نوعياً وموضوعاتياً، حين يجعلها محملة بالمعاني، ويحدد من خلالها ما يمكن أن يقال، في أي موضوع، على أي شكل، من الذي عليه أن يقول، ولمن ينبغي أن يقال، ومتى يمكن القول؟

وترتبط كثير من الأمثال بأمكنة وتجمعات بشرية خاصة، كما تتداول بلغة يومية في لهجة معينة. وقد ينحدر العديد من الأمثال من أوساط اجتماعية أو مهنية محددة، بحيث يرتبط ظهور المثل في الوسط الاجتماعي أو المهني بحدوث واقعة أو تجربة أو معرفة أو مهارة. ولا يلبث المثل أن ينتظم إلى جانب أمثال أخرى، في سلسلة من التجارب والوقائع والمهارات والمعارف الخاصة بهذه الجماعة أو تلك معبراً عن أنشطتها ومصالحها وانشغالاتها.

وقد يهاجر المثل إلى أشكال أو صيغ تعبيرية شفوية أو كتابية أخرى (الرواية، القصة، الحكاية، القصيدة...) وقد يتجاوز مع أمثال طبقات وأوساط اجتماعية أو مهنية أخرى ليعبر عن تجارب شبيهة ووضعيات مماثلة. كما الشأن في الحث على اغتنام الفرصة في حينها كلما أتاحت، بضرب المثل المنبثق عن تجربة صنعة الحدادة "اضرب الحديد ما حدو اسخون" ومنه أيضاً "كيطير كيف النزق" المستعار من صنعة الحصر ونسج الجلباب، ويقال لمن يتحرك بخفة وطيش وعجلة في كل الأمور.

والحال أن الأمثال نجد لها حضورها المتميز في كل الطبقات الاجتماعية: فلاحين وتجار وصناع تقليديين وربات البيوت والمتعلمين والعلماء... من هنا نجد المثل يولد بين الناس، من

عالمهم المحيط بهم، فيغدو مرآيا تنعكس عليها سلوكياتهم ومعارفهم في علاقاتهم مع ذواتهم ومع الآخر.

وقد يتسلل المثل إلى خطابات متداولة عديدة منها: الأدب والدين والإشهار والقانون والسياسة... وهذا ما يؤكد نجاعته في العملية التواصلية بين الأفراد خصوصا في مستوى الإقناع.

ويهدف المثل في المقام الأول إلى التأثير في متلقيه، حيث يسعى إلى جعل هذا المتلقي يطلب الشيء الممثل به أو يعرض عنه، وينزع إليه أو يكرهه، وبالتالي، فالمثل يتيح للمتلقي تقريب المجرّد ليصبح محسوسا ومدركا بالحواس، كما أن المثل يخرج الأشياء من عالم الخفاء إلى عالم الظهور والتجلي.

وبهذا يصير المثل، إلى جانب كونه صناعة صورة ما، إفرازا لأثر نفسي مساعد على إدراك أو الاقتراب من الحقيقة المراد إيصالها، بل، قد يوازي في قيمته المعرفية، المعرفة التي يقدمها "البرهان" وتقدمها المعرفة الظنية التي يحققها الجدل والمعرفة الإقناعية التي نجدها في الخطابة.

ويأخذ المثل بعده الاجتماعي عندما يصير شكلا من أشكال التبادل الثقافي ومظهرا من مظاهر الصراع والتفاعل داخل البنى الاجتماعية، في محاولة جماعية لتحقيق فعل كلامي/ فعل بالكلمة وحدها، حيث يصير الكلام -في الذنوية الجماعية- أداة تواصل، وأيضا أداة صراع واستقواء حين يسود الاعتقاد وكذا الإحساس بالتفوق والغلبة عند الاستناد إلى قوة كلامية هي قوة المثل.

2.4. وظائف المثل

يستمد المثل سمته الثقافية، إلى جانب سمات التبادل والصراع الاجتماعي، فيردُّ على لسان مستعمله بتلقائية، لكن باستراتيجية ذات أبعاد ووظائف وآليات، نذكر منها:

* الوظيفة السجالية: حين يتم توظيف المثل كسلاح للاستقواء والغلبة، قابل لأن يصيب الخصم/ المخاطب، وفي نفس الآن عجيبة قابلة للتشكل حسب تطور السجال.

فالوظيفة السجالية للمثل، تجعل العلاقة بين المتخاطبين تحتفظ بدرجة عالية من التجاذب ودرجة أعلى من المنازعة، بما يتضمنه المثل أثناء إنجازه/ التلفظ به، من دينامية الصوت وإيقاع الكلام في علاقتهما بحركات الجسد (كعدّات على ركبة واعطاتو)، (اللي ما عندو سيدو عندو لالا)، (اللي ما قدو قبرو ينعس فوق منو).

* الوظيفة الإقناعية: عندما يوظف المثل كحجة قوية، جاهزة، مثله مثل الشواهد وأقوال المفكرين والحكماء والعلماء ... فيصير المثل قوة حجاجية عالية، لها صفة "الحقيقة"

المقنعة، الباعثة على التأمل والتدبير والاعتبار: (إيلا احضر الما كييطل التيمم)، (إيلا شفت جوج امعشرين عارف الصبر على واحد)، (إيلا شفتي المزلوط زربان عارف مول لفلوس امسخرو).

* الوظيفة الاحتجاجية: عندما يوظف المثل للنقد وللاستنكار وتصحيح الخلل الحاصل داخل الجماعة، ويتم تدبير هذه الوظيفة ببلاغة السخرية والمفارقة لفضح العيب، وتثبيت القواعد بالردع الساخر، لغاية التقويم والإصلاح، في مواجهة سلوك التدمير والنشوز الاجتماعيين. (قالو آش خصك آ لعريان؟ قالو خاتم آ مولاي)، (ما سيفقتش يدارها امشات تسيق الحمام).

3.4. خلاصة تركيبية

يسعى المثل من خلال شعريته وجماليته تحقيق اللذة والتخييل والانفعال عن طريق الاستعارة والتشبيه والمحاكاة. وهو خطاب شفهي:

- إيحائي؛
- موجز مكثف؛
- معياري مطلق؛
- مسكوك لا يتغير؛
- محسوس مدرك؛
- جمالي شعري؛
- له سلطة الإقناع؛
- موجه لكل الفئات؛
- يحمل تجربة أجيال.